عرف العرب اميركة

قبل أن يعرفها أبناء الغرب[1]

كان العرب منذ أقدم الأزمنة ، وقبل المسيح بكثير ، يختلفون الى جزر واقعة في جنوب غربي بريطانية العظمى ، تلك الجزر التي كان يسميها اليونانيون يومئذٍ (جزر القصدير) ، وبلسانهم Kasseterides ومنه اسم القلعي عندنا أي القصدير المعروف باسم منجمه .

وذهاب أبناء قحطان الى تلك الربوع النائية يدل على أمور جمة :

منها : أنهم كانوا يتقنون الملاحة إتقاناً عجيباً ، بدليل ما ذهبوا إليه من البلدان الشاسعة

ومنها : أنهم كانوا يبرعون في بناية السفن ، باحكام عظيم ، لتتمكن من مصارعة أهوال البحار والمحيطات ، ولكي لا تتصدع ولا تنفسخ ، ومن ثمّ لا تغرق .

ومنها : انهم كانوا بارعين في الهندسة ، حتى إنهم تمكنوا من نشر الجوانب المتقابلات نشراً متساوي الجوانب والأحناء والأجزاء ، حتى لا تمزقها اللجج المتلاطمة ولا يزيد فيها جزء على جزء ، فيثقل جانب ويخف آخر ، فيمتنع التوازن والتساوي فتحطب تلك المواخر في اليمّ .

فكان هؤلاء السلف الأبطال ، الأنجاب ، الأنجاد ، يذهبون الى تلك الربوع الأقاصي ، كأن قلوبهم قدّت من جلمود ، وانتزعت أفئدتهم من الأعبل والصوان . فكانوا اذا بلغوا تلك الأصقاع ، يستخرجون منها القصدير أي القلعي الذي نسميه نحن « القلاي » في هذا العهد ، ثم ينقلونه إلى ديارهم الغابرة على تلك المواخر ، فيبيعونه بأثمان باهظة ، لأنهم كانوا يتخذون منه ما يقوي الشركة .

هذا وتجارة العرب ، معروفة ومشهورة منذ القدم والأزمنة الرائعة في الماضي ، وبيع إخوة يوسف شقيقهم ابني إسماعيل أشهر من أن يذكر ، وذلك قبل الميلاد بأكثر من ألفي سنة

(١) خطبة القاها الاب انستاس ماري الكرملي في قاعة فيصل الثاني في بغداد في ٦ كانون الاول ١ دسمبر ١٩٤٤

وقد تعلّم بعض الناس من العرب ، استخراج القصدير من تلك الجزر فتأثروهم في صناعتهم وتجارتهم . فكان فيهم الفنيقيون والقرطاجنيون . والرومان ، واليونان ، وغيرهم . ذكر كل ذلك هيرودوتس أبو التاريخ في ٣ : ١١٥ ، واسترابون في الباب ٢ في الفصل ١١

أمّا ما اسم تلك الجزر في عهدنا هذا فيظن الحذاق جميعهم انها المسماة Iles Sorlingues وبالانكليزية Scilly islands وهي واقعة في خليج المانش على ساحل كورنوايل ، Cornwall وهذا دليل على ان صداقتنا للانكليز من أعرق جميع الصداقات

بقيت لديكم الدليل الأول ، نقلاً عن هيرودوتس أبي التاريخ ، المتوفى في المائة الخامسة قبل الميلاد ، وعن استرابون ، المتوفى في الأيام الاخيرة ، من عهد طيباريوس قيصر ، أي في نأنأة النصرانية . والآن أذكر لكم الدليل الثاني ، وهو : يرى المفكرون البصراء من أهل البحث في هذا العصر ، أن أبناء العروبة ، عرفوا التيار المشهور في هذا العهد بالاسم الانكليزي Gul Stream أي تيار الخليج ؛ وهو تيار عظيم ينساب في المحيط الاتلانتي ، الذي يسميه ابن خلدون : (المحيط البلابي) وينشأ من خليج المكسيك ، مارًّا بقناة بهاما ، ثم يلاعب سواحل أميركة الجنوبية ، ويسايرها إلى الدرجة ٤٠° من العرض الشمالي ، ثم ينحدر إلى جنوب الجنوب الشرقي .

ويذهب أمير موناكو البحّار الشهير ، والبحاثة الخطير ، إلى أن سواحل أوربة ، تتدفق على وجهها بسط من المياه هي غير مياه تيّار الخليج ، اللهمّ إلاّ القليل النزر منها الذي لا يلتفت اليه . هذا وتبقى مجاري هذا التيار دائمة . فتكسر شيئاً من برد إرلندة ، لأن تلك المياه تبلغها ، كما تصل إلى انكلترة ونروج .

وهذا التيار نفسه يفيض على بحار أوربة ، كما يفيض عليها أيضاً تيارات رَنّل Rennell وخليج غسكونية ، ويستدل على هذا التيار بحرارة مياهه ؛ إذ قد تبلغ ٣٠° درجة مئوية فوق الصفر ، في أول اندفاعها ومن علاماته أيضاً لون مياهه الزرق ، وملوحتها البليغة — وأول من عرف أمور هذا التيار شمس دي لاون Ponce de Leon في المائة الـ ١٦ ، ثم درسها حاق الدوس موري Murry في زماننا هذا ، ثم أمير موناكو البحّار البحاثة الذائع الصيت .

وسبق العرب سائر الأمم إلى معرفة هذا التيار وخواصه ، وإلى حركته من المكسيك الى أرلندة ، ومن هذه الى تلك ، فكانوا يركبونه من موضع إلى موطن ، بحيث كانوا يدعونه مكان جزر المانش ، أي جزر القصدير ، وأهالي جزيرة ارلندة . فكانوا إذا

وفي سنة ٥٥٢ ، نزل برندان ورفقاؤه على سواحل أميركة . ويرى في خطوط عتيق ، وصف وجيز لما رأوه في تلك الديار . والنهر العظيم الذي يجري فيها ، ويظن إنه المسيسبي .

ولما عاد برندان من رحلته إلى وطنه ، حفظت رواياتها في كتاب لاتيني العبارة ، وكان دوّنها أحد معاصريه ، ونسخ منها عدة نسخ . وأنفذت إلى أرجاء أوربة المختلفة ، وكان منها الرسلون الارلنديون . — ويرى منها نسخة في خزانة الفاتيكان إلى يومنا هذا . وقد قال أحد النقات من جهابذة النقدة : إنها كتبت في المائة التاسعة . — وفي الخزانة الوطنية في باريس ، إحدى عشرة نسخة خطية ، تروي رحلة برندان المذكور .

وبعد سفرة برندان ، ترى عدة أدلة على أن رهباناً ارلنديين آخرين ، ركبوا المحيط الاتلانتي بعد ذلك ، وكانوا على سفن ضيقة ، ليقوموا بواجبات الرسلين في العالم الحديث وذلك في المائة الثامنة . وكانت تمتد أعمالهم من ساحل جون شيسابيك في أسفله . إلى أدنى كارولينة وفلوريدة . وقد عرف تلك الأرجاء كلها عدد وافر من الارلنديين .

ولا جرم ، أن كلمبس كان واقفاً أتم الوقوف على خبر رحلة برندان ، فتمكن من أن يقنع الملك فرديننذ ، والملكة ايزابلّة ، بأن يوافقا على هذه الرحلة . للبحث عن العالم الجديد فقتنا في الآخر ، وكل ذلك بفضل ما اطلع عليه من الرحلة المذكورة في تلك المخطوطات القديمة

الخاتمة

فهذا ، ياسادتي الفضلاء ، مجمل ما يقال في هذا الموضوع ، وأما التفاصيل فطويلة جملة . لا تزيدكم فائدة أعظم . ويلخص كلامي هذا كما يأتي :

إن أبناء يعرب القدامى ، ولا سيما أولئك الذين كانوا يجاورون ثغور البحار ، يركبون السفن التي كانوا يفشرونها بأيديهم ، فيجرون بها المحيطات ، فوصلوا في أول أسفارهم إلى جزر القصدير ، وهي في بحر المانش ، وعددها (١٤٥) خريصاً ، وبعد ذلك عرفوا تيار الخليج ، وهو المسمى عند الانكليز Gulf Stream ، فاتخذوه نافلا لهم ، إلى الربوع التي دعيت بعد ذلك بالمكسيك ، ومنها انتشروا إلى سائر مدن أميركة ، من شمالية وجنوبية . فالعرب وسائر الأقوام التي حلت العالم الجديد عرفوا المكسيك ، قبل أن يعرفوا سائر الديار الغربية من تلك الأرجاء . ولذا نرى فيها من الأسماء العربية العائدة إلى الحيوان والطير ، أكثر مما في سائر الانحاء الحديثة المعروفة ، بحيث لا يمكن لأحد أن ينكرها .

وقد اعتمدت في كل ما قررت هنا على مصنفات الأعراب أنفسهم ، إلاّ ما وجدته فيها بنقص . وقع ذلك كله قبل المسيح وبعده ، لاسيما بعد اكتشاف تلك المنشأيات . هذا

وانا أتحدّى كل أديب ينكر عليّ هـذه الحقائق ، أن يفندها تفنيداً علميًّا ، إما على طريق التاريخ ، وإما على سبيل اللغة ، وإما على سبيل النقل عن السلف ، بشرط أن يكون هـذا التفنيد طلباً للحقيقة ، لا للهجكة والمعارضة ، والمماندة ، والمماراة والأدماء الفارغ . وأن يكون بأدلة صادقة مقنعة ، خالية من كل تمويه وتشويه .

نعم ، إن الذين ينكرون هذه الحقائق هم الأجانب الذين لا يعجبهم أن يسمعوا كل مديح بحق العرب ، أو أولئك المتحرون ، أو المتفرنجون ، الشعوبية الذين يغمطون حق كل ناطق بالضاد ، وإن بان فضله وعلمه . فهؤلاء جميعهم من القوم الخاسرين الخاسئين ، ولا يلتفت إلى مزاعمهم ، فالاعتماد على الشباب المتنوّر ، الذين عليهم المستقبل وعساهم أن يزدادوا عدداً كلما زدنا تقدماً في الأيام . وعليه تعالى تحقيق الآمال .

مراجعنا

1 — Martyrologium Romanum

2 — M. — N. Bouillet. — Dic. Universel d'His. et de Geog. art. Cassiterides.

3 — Nouveau Larousse illustré, T. II Art. Brendan.

4 — Nelson's Encyclopaedia Vol. IV art. Brendan (St.)

5 — Encyclopaedia Britannica-art. Brendan

6 — G. Wahlund : Die altfrezosische Prosa Übersetzung von Brendans Meerfahrt (Upsala, 1900)

7 — F. Novati : La navigatio Sancti Brendani in latino Veneziano. (Bergamo, 1892)

8 — G. Schirmer, — Zur Brendanus—Legende, etc. (Leipzig, 1886)

9 — F. Michel : Les Voyages Merveilleux de St. Brendan, etc. (Paris 1872)

(10) — R. F. Moran : Acta Sancti Brendani, Original Latin Documents connected with the Life of Saint Brendan (Dublin 1872)

11 — Time Bibs No. 3192 Friday, 7th. April 1944.

12 — Pierre Larousse — Grand Dictionnaire Universel du XIX Siecle — Paris

١٣ — القنطف ١٠٥ : ٣١٧ وما يليها

١٤ — مجلة المجمع العلمي العربي — ١٩ : ٣١٥ وما يليها الى غيرها من الكتب والمجلات والصحف